ثورة محمد أحمد المهدي في السودان(١٨٨١-١٨٨٥م)

د٠حميد عبد حمادي /وزارة التربية

الأوضاع السياسية في السودان قبيل ثورة المهدي

تقع السودان في غرب القارة الأفريقية ، وكان السودان المصري في أواخر عهد الخديوي إسماعيل يمتد جنوبا إلى خط الاستواء ، ويشمل بحيرة البرت وبحيرة فكتوريا والبلاد التي بينهما ، وبلغت حدود السودان سواحل البحر الأحمر وخليج عدن شرقا ، ووصلت حدوده الجنوبية الشرقية إلى المحيط الهندي وسواحل الصومال الشمالية ،[١] ويخترقها نهر النيل الذي يتكون من النيل الأبيض وينبع من بحيرة فكتوريا ، والنيل الأزرق الذي ينبع من بحيرة تانا.[٢] وضفاف هذا النهر تسمى وادي النيل ، ويشمل مصر والسودان . فهو يكون وادي ودلتا مصر وسهل السودان وأرض الجزيرة وكسلا. والنيل له أثر كبير في بناء الحضارة المصرية العريقة ، وهو هبه الله لمصر والمنطقة كلها .[٣]

كان السودان يتألف من عدة مديريات ومحافظات ومنها الخرطوم وكسلا ودار فور ود نقله وكردفان وبربر وسنار وفاشودة .وكان أخر ولاة السودان في عهد الخديوي إسماعيل هو الجنرال تشارلس غوردون باشا الذي استقال أوائل عهد الخديوي توفيق ، وخلفه محمد رؤوف باشا حكمدارا للسودان (عام ١٨٧٩ م) وهو أ خر الولاة الذين حكموا السودان قبل اندلاع الثورة المهدية التي قضت على النفوذ المصري في السودان . [٤]

يذكر المؤرخون بواعث وأسبابا عدة دفعت محمد علي باشا لفتح السودان (عام ١٨٢١ م) ، فقد ذكر المؤرخ ضرار صالح ضرار في كتابه تاريخ السودان الحديث إن مصر تعتمد اعتمادا كليا على مياه نهر النيل وانه السبيل الوحيد لري أراضيها الزراعية . فكانت رغبة محمد علي باشا شديدة في الاستيلاء على كل وادي النيل من منبعه إلي مصبه ، سيما وأن الحبشة قد عمدت إلى تهديد مصر والسودان في القرنين السابع والثامن عشر بتحويل مجرى نهر النيل ، إضافة إلى أن الإطماع الأوربية في مصر وأفريقية متمثلة بالفرنسيين والبريطانيين بدأت في الظهور بعد محاولة البريطانيين غزو مصر عندما هبطت الجيوش البريطانية في رشيد في ٣١ آذار عام ١٨٠٧م واستطاع علي بك السلانكلي أن يفشل هذه المحاولة .[٥]

كان محمد علي باشا كثير الطموح سيما وانه أراد بناء إمبراطورية تشبه عصر نابليون بونا برت الذي اخضع كل أوربا تقريبا . فبعد أن اخضع محمد علي شبه الجزيرة العربية بين عامي ١٨١١و١٨١٨م وانتصاره على الوهابيين ، وفتح ألد رعية_ في ١٩كانون أول عام ١٨١٨م بعد حصار دام ستة اشهر ، واصبح الطريق أمامه معبداً لتوسيع نفوذه ومملكته جنوبا نحو السودان الذي اشتهر منذ أقدم العصور بأراضيه الغنية بالمناجم وخاصة الذهب والماس الموجودة في أصقاع السودان وخاصة في سنار [٦]. وكان محمد علي بحاجة إلى الذهب لكي ينفقه في بناء جيشٍ قوي مدربٍ ومجهزٍ بأسلحة حديثه يستطيع أن يدافع عن مصر والأراضي التابعة له ، وتجنيد السودانيين في الجيش المصري النظامي لما أشتهر به الجنود السودانيين من الصبر والشجاعة المعهودة والطاعة والولاء لرؤسائهم كما كان يفعل الفراعنة قديماً ، ثم رغبته في التخلص من الفرق

الباقية من عسكر الأرناؤط وغيرهم من الجنود الغير نظامين (الباشيوزق) الذين لم يقتلوا في حرب الوهابيين[٧] .

أراد محمد علي باشا تطوير البلاد زراعياً وصناعياً وتجارياً واستغلال تجارة السودان ومنتجاتها مثل العاج والأبنوس وريش النعام والجلود وفتح أسواق السودان للمنتجات المصرية وتأمين طرق التجارة ، كما رغب محمد علي بالقضاء على المماليك الهاربين إلى السودان قبل أن يستفحل أمرهم ويصبحوا خطراً على دولته ، كما أراد القضاء على تجارة الرقيق التي استفحلت كثيراً في السودان بحيث بلغ عدد الزنوج الذين يتم اصطيادهم بخمسين ألف سنوياً [٨] .

لقد ذكر المؤرخ حسن محمد درويش في كتابه "الوزارات المصرية في ظل حكم الأسرة العلوية " إن محمد علي باشا جهز جيشاً في تموز عام ١٨٢٠م مؤلفاً من أربعه آلاف وخمسمائة مقاتل بينهم آلف وخمسمائة فارس معظمهم من الأتراك والمغاربة والارناؤط ومعهم خمسمائة من عرب العبابده الذين لديهم خبرة في الطرق الصحراوية بين مصر والسودان ، وتم تسليح الجيش بـ(٢٤) مدفع يقودهم الضابط الأمريكي(إنجلش)مسؤول المدفعية[٩]. بينما ذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي بك في كتابه عصر محمد علي ان عدد المقاتلين بلغ (٥٤٠٠) مقاتل مجهزين بـ(٢٤) مدفعاً حسب ما أحصاهم المسيوفردريك كابو العالم الفرنسي الذي صحب الحملة بقصد الاكتشاف والبحث عن مناجم الذهب واوكل قيادة هذا الجيش لابنه إسماعيل باشا الذي كان عمره (٢٥) سنة ، وصحبه ثلاثة من العلماء[١٠]. مهمتهم حث الأهالي للدخول في طاعة الوالي المسلم وارشادهم وتبصيرهم والاعتراف بسلطة الحكومة المصرية حقناً للدماء ، واستطاع إسماعيل باشا أن يستولي على السودان بعد معارك كثيرة أهمها موقعة كورتي التي حدثت في ٤تشرين الثاني عام ١٨٢٠م ، وبلاد النوبه في الدر جنوب السودان التي كانت تتمتع باستقلالها تحت حكم حسين كاشف الذي أرادا المقاومة لكنه لم يستطع ، وفسح المجال أمام أخيه حسن ليسلم البلاد إلى إسماعيل باشا دون قتال ، وسقطت سنار في ١٢-١٣حزيران ١٨٢١م بعد ان تنازل الملك بادي السادس عن ملكه لإسماعيل باشا لتصبح تحت سيطرة السلطان العثماني أسمياً وواقعياً تحت إدارة الوالي محمد علي باشا[١١].

انفذ محمد علي باشا حملة ثانية إلى كردفان ودار فور بقيادة محمد بك الدفتر دار بلغ تعدادها (٤٠٠٠)جندي مع عشرة مدافع ، وفي موقعة بارة في ١٦نسيان ١٨٢١م استطاع الدفتر دار الانتصار على جيش المقدوم مسلم الذي قتل في المعركة ، واحتلال الأبيض عاصمة كردفان . وكانت من اشد المعارك التي خاضاها الجيش المصري ، بعد أن أبدى جيش كردفان شجاعة فائقة . وقد حاول سلطان كردفان استردادها لكنه فشل . وبذلك اصبح غرب السودان من أملاك محمد علي الذي كان يفكر في إخلاء كردفان لأحد ملوك السودان لقاء دفع جزيه سنويه ، لكن الدفتر دار أقنعه بالعدول عن هذه السياسة [١٢].

بعد فتح السودان ازدادت علاقته مع مصر فقد احدث الحكم المصري تغيرات أساسيه في المجتمع السوداني كان أبرزها مركزيه الإدارة ليصبح السودان قطراً موحداً، فأنشئت المدن كالخرطوم التي أساسها خور شيد باشا إبان حكم السودان (١٨٢٦-١٨٣٩) ، وانتشر الأمن وانتهت الفوضى والاضطرابات بشكل يبعث على الطمأنينة وانشئت دواوين الحكومة والمساجد ونظم البريد ، وتحسنت طرق المواصلات البريه والبحرية، وانشيء

مصنع للبارود ومخازن للذخيرة الحربية ، وأزداد الاهتمام بالزراعة وخاصةً زراعة القطن ، وانتشرت التجارة مع البلدان المجاورة ، وانتشر التعليم الحكومي المدني في السودان وافتتحت أول مدرسه نظاميه في السودان عام ١٨٥٣م، وتوالى فتح المدارس على اختلاف أنواعها واختصاصاتها التي تشبه نظم دراستها وبرامجها المدارس المصريه [١٣]. يبدو ان مصر حققت وحدتها القومية والسياسية وأخذت بيد السودان نحو التقدم لأنها كانت تدرك أهمية السودان لمصر وبسط الحكم المصري في أرجائه ومد جسور الحضارة والعمران على ربوعه.....

اهتمت مصر بالكشف العلمي عن المناطق التي لم تكن معروفة في السودان وفي اعمال منابع نهر النيل ، واستعانت بالأوربيين وخاصه الانكليز . وعمل هؤلاء لحساب السياسه الانكليزية التي كانت تطمح الى استعمار أفريقيا . وفي عام ١٨٦٩م عُين السير صموئيل بيكر حكمداراً لمديرية خط الاستواء ، لتنظيم البلاد والعمل على مكافحة تجارة الرقيق . إلا انه اساء معامله الأهالي وجلب سمعه غير جيدة لمصر ، مما حدا بالحكومه المصرية ان تستغني عن خدماته [١٤].

وتم تعين انكليزياً أخر هو الجنرال شارلس غوردون عام ١٨٧٤م ، وأوكات له مهمه حفظ الامن وفتح طرق التجارة ، لكنه حاول على إطفاء شعله الحضارة العربية الاسلامية التي صاحبت التيار الاسلامي الديني في السودان ، فقام بارسال البعثات التبشرية المسيحية الى اوغندا لتحول دون دخول ملكها ومواطنيها الدين الاسلامي وانهيت خدماته عام ١٨٧٦م ، وعاد الى بريطانيا . لكن الحكومه البريطانيه سعت لدى الخديوي اسماعيل كي يُعينه حكمدار عاماً للسودان ؛ وهكذا تدرجت السياسة البريطانيه في تدخلها المستمر في شؤون السودان . فبعد أن كان غوردون حاكم خط الاستواء أصبح حاكماً عاماً للأقاليم السودانيه جميعها . وهذه أول مرة يعين حاكم اجنبي في هذا المنصب . أراد الخديوي اسماعيل من تعين غوردون كسب عطف بريطانيا ، لتعاونه في محنته الماليه خاصه بعد أن استطاعت بريطانيا شراء أسهم مصر في قناة السويس عام ١٨٧٥م وأنشاء صندوق الدين ثم فرض الرقابة لاحقاً [١٥].

عندما عين الجنرال غوردون حاكماً عاماً للسودان إتبع سياسة قاسية ضد السودانيين ، واعلن حرباً ضد تجارة الرقيق ، والغى المدارس الأميرية والأهلية ، وقام بتنضيق الادارة بعد أن وسعها من قبل ، مما يدل على عدم إخلاصه لمصر سيما وانه كان مطلق اليد في ادارة السودان كما يريدلأن الخديوي اسماعيل سمح له بذلك . وفي عام ١٨٧٩م أضطر الخديوي الى اعتزال الحكم تحت ضغط الحكومه البريطانية والفرنسية بسبب عدم استطاعته تسديد الديون الأجنبيه ، مما أخطر غوردون الى الاستفاله ايضاً . لأن موقفه أصبح ضعيفاً ، وعُين مكانه محمد رؤوف باشا عام ١٨٧٩م. [١٦]

ظهور الحركة المهديه

إختلف المؤرخون بشأن ولادة محمد احمد السيد عبدالله الملقب بالمهدي الذي تزعم الحركه المهديه . وذكر المؤرخ د. شوقي عطاالله الجمل في كتابه تاريخ سودان وادي النيل ، أن السيد محمد احمد ولد في جزيرة (ضرار) في مدينه دنقله عام ١٨٤٨م من عائله دينيه كان أفرادها يعملون في صناعة السفن. [١٧] واتفق معه المؤرخ الانكازي وينجت (Wingate) وقال : أن محمد احمد ولد عام ١٨٤٨م في جزيرة (ضرار)، وأنه

إنصرف الى العلم والطرق الصوفيه وتعلق بها ، وغلب عليه الزهد والحياء. [١٨]

أما المؤرخ إبراهيم سامي احمد فقد ذكر في كتابه التاريخ القوي ان السيد محمدأحمد ولد في دنقله عام ١٨٤٣م ، ودرس القرآن الكريم والتحق بأحد معاهد العلم العربية وتتلمذ على يد أحد (الدراويش)[١٩] ومنح لقب شيخ . بعدها غادر الى جزيرة أبا Aba في النيل الابيض ليتزوج من احدى بنات كبراء قبائل البقارة ، وهناك قام بنشر دعوته وأدعى لنفسه بأنه المهدي المنتظر[٢٠].

بينما ذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي بك في كتابه مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ان السيد محمد أحمد ولد بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٦٠هـ الموافق ١٢ أب عام ١٨٤٤م في جزيرة (لبب) جنوب مدينه دنقله بخمسه عشر كيلومتراً وهو من سلاله عربية أصيلة . وقد ذكر الرافعي أنه ارسل خطاباً شخصياً الى السيد عبد الرحمن باشا نجل السيد محمد أحمد يستفسر عن سيرة والده وتاريخ ميلاده بعد أن اختلفت الاراء بذلك فتلقى منه خطاباً بتاريخ ١٧ نيسان عام ١٩٣٩م يؤكد فيه أن ولادة السيد محمد أحمد المهدي بتاريخ ٢٧ رجب عام ١٢٦٠هـ الموافق ١٢ أب عام ١٨٤٤م . وكان أبوه نجاراً ، رحل وافراد عائلته الى (كرري) بعد أن ضاق به العيش في دنقله ، بينما كان السيد محمد أحمد طفلاً ، إلا انه قد مال الى العلم والتفقه في الدين منذ صباه [٢١]. ووافقه ضرار صالح ضرار في كتابه تاريخ السودان الحديث ، حيث ذكر ان السيد محمد أحمد ولد في جزيرة (لبب) أحدى جزر النيل الواقعه في مدينه دنقله شمال السودان [٢٢]. كانت رغبة السيد محمد أحمد تزداد كل يوم ، فدخل المدارس الدينيه القرآنيه ، ثم انتقل الى الخرطوم . وبدأ حياته في خلوة الشيخ محمد الخير في (بربر) . وأخذ يمضي نهاره في الدراسه وليله في التأمل والصلاة وتلاوة الأوراد. وبقي السيد محمد أحمد ملازماً لأستاذه الشيخ محمد الخير فترة من الزمن متمسكاً باهداب الدين وسبيل الرشاد . وكان يزرع ارض استاذه ويكسب رزقه بيده ، ولايرضى ان يقدم له شيخه طعاماً من راتبه الذي اعتبره راتباً غير شرعي ، لأنه أخذ الراتب من السودانيين الذين جارت عليهم الحكومه كضرائب بغير وجه حق .[٢٣] يتبين لنا أن السيد محمد أحمد قد وضع لنفسه أساساً لحياته منذ صباه ، وكان طابعها التواضع والزهد مما جعله محط أنظار واعجاب الجميع بعد أن بلغ محمد المهدي سن الشباب تاقت نفسه الى التصوف والانصراف للعبادة لذلك التحق في عام ١٨٦١م بالشيخ محمد الشريف نور الدائم شيخ الطريقة السمانيه ، وهو من المشايخ البارزين وأحد قادة الصوفيه في عصره ، فقربه وميزه على أقرانه من طلاب العلم ، وسمح له بتكوين مريدين له رغم صغر سنه. واتخذ سيره الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم " نبراساً له في حياته . فكان يحمل متاعه بيده ويعمل وينظف دون أن يأنف من ذلك. وكان كثير التعبد وقراءة القرآن. وامتلأ قلبه ايماناً وورعاً . وبعد سبع سنوات منحه شيخه الأستاذية بعد أن رضي عنه. بعدها بدأ يفتش عن عمل يرتزق منه، فأشتغل حطاباً، لكنه هجر تجارة الحطب بعد أن اشترت منه امرأة حطباً وذكرت له انها سوف تستخدم الحطب لتقطير وصناعه الخمر. بعدها اتجه الى التجاره مرة اخرى مع أحد أقربائه لكنه هجرها ايضاً بسبب جشع شريكه الذي يريد ربحاً كثيراً وأضطر الى ترك التجاره نهائيا واعتبارها فتنه.[٢٤]

وفي عام ١٨٧١م انتقل مع أخوته الى جزيرة أبا ، وهي جزيرة جميله ذات اشجار وغابات كثيفة ، فساعدته

كثيرا على الخلوة والعبادة ، فاقام فيها مسجداً للصلاة وخلوة للتدريس . فذاع صيته كعابد متبتل في كل مكان مع المراكب النيلية التي كانت تجوب النيل الابيض شمالا وجنوبا . وازداد عدد انصاره ومريديه . وحمل الناس الهدايا اليه ، لينفق منها على تلاميذه . علما انه كان يعيش في حياة زهد وتقشف ، وكان يزور أستاذه بين الحين والاخر ، نجحت مدرسته واصبح لها رواج في كل مكان . فكتب الى شيخه محمد شريف يدعوه لزيارة النيل الابيض ، وذلك لرغبة الأهالي بتعلم الطريقة وأصول الدين . فلبى الشيخ دعوة تلميذه وأقام في (العراديب) وهي إحدى قرى النيل الابيض حيث وجد أن سمعه تلميذه أصبحت لها شأن كبير في كل أرجاء المنطقة ؛ وعلى الرغم من ترحيب المهدي بشيخه إلا انه عاد الى مقره بشمال الخرطوم . وسرعان ما لبثت هذة العلاقة بين الشيخ وتلميذه إلا أن تأخذ مساراً اخر نحو القطيعة . ومن خلال زيارة المهدي لشيخه رأى النساء يقبلن يده . وبسب نضوج المهدي فكرياً وعاطفياً وغيرته على الاسلام والشريعة لم يقبل من شيخه ذلك . واعترض على هذه العادة التي اعتبرها المهدي خارجه عن أصول الدين ولا ترضي الله . وما لبث أن رأى ان استاذه قد سمح بالرقص والغناء ودق الطبل خلال حفل ختان انجاله، والذي دعا اليه تلاميذه ومريديه مما جعل محمد المهدي يعترض على هذا العمل وانتقد شيخه علناً . وقد راى الشيخ ان هذا النقد قد سبب له حرجاً كبيراً بين اتباعه . فغضب على تلميذة وطرده من مجلسه . وطلب من قائمقام (الكوه) القبض على المهدي وزجه في السجن لكي لايستفحل امره . لكنه لم يقبل . ولحسن خلق المهدي قدم اعتذاره لشيخه وطلب منه العفو والصفح لكن محاولته باءت بالفشل . [٢٥]

ويبدو ان سمعة المهدي وكثرت مريديه وانصاره الذي يلتفون حوله وعلو شأنه بين القبائل قد اعطت انطباعاً اخر عند الشيخ محمد شريف ووجد فيه منافس قوياً وشعر بأستفحال امره مما جعله يأخذ موقفاً مشدداً منهُ ....

أراد محمد المهدي أن يكون له مركز ديني مرموق لكي يحتل مركز القيادة لاعلاء شأن الإسلام ، لذلك لم يشأ أن يبقى على خلاف مع أستاذه الشيخ محمد شريف . فلجأ إلى الشيخ القرشي في قرية (المسلميه) وهو الخليفة الأصلي للطريقة السمانيه . وجدد العهد عليه . فرحب به الشيخ القرشي ، واكد مشيخه محمد المهدي في الطريقة السمانيه . بعدها رجع محمد المهدي الى جزيرة أبا ليبدأ خطه جديدة . فبدأ يقوي صلاته بالعلماء والفقهاء والمشايخ المنتشرين في كل مكان . بعدها سار الى كردفان ونزل في الابيض وأتصل بكبار السودانيين ليتعرف على موقفهم تجاه الحكومه . وقد التقى المهدي في الابيض (بالياس ام بربر) مدير كردفان الذي عينه الجنرال غوردون ثم فصله من الاداره . فكان الناس يقابلونه بالحفاوة والتكريم . وترك لديهم انطباعاً وأثراً طيباً .[٢٦]

بعد فترة قليله توفي الشيخ القرشي واشترك المهدي مع غيره من تلاميذ القرشي في بناء ضريح وقبه. كما جرت العادة في البلاد لمشايخ الصوفيه ، وفي اثناء عمله في بناء الضريح التقى المهدي برجل يدعى عبد الله التعايشي الذي كان بدوره معجباً بشخصيه المهدي وشجاعته وعلمه . وقد نشأت بينهم مودة وربطتهما صداقه متينه سيما، وان المهدي أعجب ايضاً بذكاء التعايشي وصبره وجلده رغم قله علمه. الا أنه بدأ يأخذ العلم عن صديقه المهدي. وبعد اكمال بناء الضريح والقبه عادا سويةً الى جزيرة أبا ، وبدأ المهدي يبشر

بدعوته وضرورة الرجوع الى الاسلام والتمسك بالله والابتعاد عن ملذات الدنيا ، ودعى ايضاً الى القرآن والسنه النبويه وطالب بتطبيقها في الاحكام والقضايا. وقال انها كافيه للمؤمن ودعا الى الزهد والتقشف . وانتقد المذاهب الاربعة ووصفها بأنها تضعف الاسلام. (٢٧)

وفي شعبان عام ١٢٩٧هـ (تموز ١٨٨٠م) أَسر المهدي لصديقه عبد الله التعايشي وبعض تلاميذه المقربين بأنه رأى النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" الذي أخبره بأنه المهدي المنتظر الذي سوف يملأ الارض عدلاً وانصافاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً . (٢٨)

بدأ المهدي ينشر دعوته جهراً بين مريديه وأنصاره في شعبان عام (١٢٩٨ هـ) (حزيران (١٨٨١ م) ، فكتب الى المشايخ والعلماء من اتباعه وذكر لهم رؤية النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " وانه عهد اليه أحياء الاسلام ، ومن بين الذين تلقوا دعوته الشيخ محمد صالح من علماء دنقله الذي قام بدوره بابلاغ حاكم السودان رؤوف باشا الذي أهمل الأمر اولاً بالرغم من علمه بالدعوة من الشيخ محمد شريف ، وعزا ذلك الى المنافسه والخلاف بينهما ، إلا أن حاكم السودان وصلت اليه المنشورات التي أذاعها المهدي في أرجاء البلاد . أراد رؤوف باشا التأكد من صحة ومصدر المنشورات فأرسل كتاباً الى المهدي يسأله عما نسب اليه ، فأقرها المهدي وذكر أن هذة المنشورات صدرت عنه وأنه ينصحه فيها بمبايعته على انه المهدي المنتظر . وقال في رده على كتاب الحكمدار رؤوف باشا ((..... من عبد ربه محمد المهدي ، من عبد الله الى الحكمدار بالخرطوم ، وبعد . فعلى مقتضى المكاتبة فالأمر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقويم السنه والهجره بالدين مما عليه الطباع الزمنيه أمر من سيد الوجود "صلى الله عليه وسلم" والاعلام بأني المهدي المنتظر في سيد الوجود "صلى الله عليه وسلم" ضمن اتبع صار من المقربين والفائزين ، ومن خالف خذله الله في الدارين وصده بقوته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين ..... والسلام) ، رأى رؤوف باشا ان الامر يستحق الاهتمام فبعث احد معاونيه المدعو محمد بك ابو السعود العقاد وكان ابو السعود من تجار الرقيق لكنه ترك التجارة وانظم الى خدمه الحكومه المصريه في الخرطوم بعثه الى محمد المهدي يدعوه الحضور اليه ، ولكن المهدي رفض الطلب واعتبر تأيد الدعوة بالقوة ، وأخذ يستعد مع أنصاره لمقاومه الحكومه فعاد أبو السعود الى الخرطوم ليبلغ الحكمدار بما جرى ودار. (٢٩)

أيقن رؤوف باشا انه لاجدوى من ذلك الا بالقاء القبض على محمد المهدي بالقوة فعمد على تجهيز كتيبه من الجنود تتألف من مائتي جندي وبعض الضباط الى جزيرة أبا لقتال المهدي والقبض عليه وكانت الكتيبه بقيادة محمد بك ابو السعود ، ولما علم محمد المهدي بالأمر استعد مع أنصاره ومريديه للدفاع حتى الموت. نزل جنود أبو السعود الى جزيرة أبا أما ابو السعود فبقي في السفينه خوفاً على نفسه . أطلق جنود ابو السعود النار في الهواء لاثارة الرعب والخوف في صفوف المهدي لكن الثوار لم يهتموا لذلك وباغتوا عدوهم بهجوم مفاجئ ففتكوا بكثير منهم بينما هرب الباقون الى السفينة التي كانت تنتظرهم في الشاطئ . حدثت هذه المعركة في ١٦-١٧ رمضان عام ١٢٩٨ (١٢ اغسطس ١٨٨١ م) وسميت بواقعة ابا .وقد تزامنت الثوره مع أنتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى مما أعطى أهميه كبيره لهذا الأنتصار .(٣٠)

ايقن المهدي ان قوات الحكومة لن تتركه بعد هزيمتها وبناءاً على نصيحة صديقه عبد الله التعايشي اتجه مع انصاره الى الجنوب بعيدا عن الابيض حتى وصل الى جبل يدعى (قرير) فهو من المناطق الوعرة في جبال النوبة. وسماه المهدي بجبل (ناسة) ، . وكان شائعاً في السودان ان المهدي المنتظر سيظهر من هذا الجبل ، اما الحكمدار فقد ابرق الى الخديدوي توفيق يعلمه بهزيمة الجند على يد المهدي وعزا ذلك إلى عدم اطاعة الجند للاوامر التي صدرت اليهم باطلاق النار بحجة انه لايجوز قتال الفقراء ، لكن الدراويش هجموا على الجند وقتلوا منهم ١٢٠ جندي وستة ضباط . [٣١] كانت الهزيمة الساحقة التي منيت بها قوات الحكومة على يد المهدي وانصاره وقد زادت من نفوذه بين القبائل والتف حوله الكثير من السودانيين الذين أيقنوا ان هذا النصر هو من عند الله وبتأييد منه لشخصية المهدي المنتظر .....

الثوره المهديه :- أسبابها

نشبت الثورة في السودان نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية . وكانت هذه الثورة ذات طابع ديني بزعامة محمد احمد المهدي التي تشبه الى حد كبير ثورة احمد عرابي في مصر التي كانت ضد الاحتلال البريطاني . وكان قائد الثورة رجلا دينيا وهب نفسه لنصرة الدين الاسلامي . وفي الوقت نفسه نشطت في السودان الطرق الصوفية وتعددت المدارس الدينية ، وكانت نفوس السودانيين تتوق الى ايام الاسلام وعصره الزاهر ، حيث لاظلم ولاتعسف وانما العدل هو السائد بين افراد المجتمع . وقامت الثورة المهدية ضد الحكم التركي الفاسد والتسلط الاجنبي الاوربي نتيجة لما حل بالبلاد من فساد الادارة المدنية ، فكانت المناصب العليا من نصيب الشراكسة الاتراك والانكليز .[٣٢] وان قسم من هؤلاء الموظفين الإداريين هم منفيون لسوء ذمتهم والقسم الاخر سيئون ولم يتعاونوا مع الإدارة الحكومية التي كانت ضعيفة بعد استقالة الخديوي اسماعيل واستقالة الجنرال غوردن حاكم السودان ، فانتشرت الرشوة بين الموظفين ، وكانت جباية وفداحة الضائب واستخدام اعنف الوسائل الوحشية التي اتبعها موظفو الحكومة تجاه الاهالي في جمع الضرائب ، فكان محمد المهدي ثائرا منذ بداية حياته ضد جمع الضرائب وطرق جبايتهما ، وكان يشعر بان تلك الضرائب مثلها كمثل الجزية في الاسلام ، ويجب ان تكتفي الحكومة بأموال الزكاة فقط ، وكانت الضرائب تفرض على الفقراء اما الاغنياء والمقربين من الحكومة فلهم امتيازات خاصة لانهم قادرين على دفع رشوة للحكام والمديرين الذين يتقاضون عن الاغنياء [٣٣] . وكان من اسباب الثورة المهدية ايضا اقامة حكومة ودولة اسلامية دستورها القرآن الكريم وقوانينها الشرع وتحكم بالعدل ، . وان السودانيين على اختلاف قبائلهم كانوا يتوقون الى ذلك ويعارضون كل شيء مخالف للدين ، لذلك عندما تولى (ا را كيل بك) مديرية الخرطوم وهو ارمني مسيحي ، ثاروا عليه ولم يقبلوا ان يطيعوه .

وللتجارة دور مهم في نشوب الثورة المهدية فقد كانت الحكومة تحتكر تجارة العاج وهو من المصادر المهمة للثورة في السودان واستاثرت بالارباح الطائلة التي كانت تجنيها من هذه التجارة مما سبب سخطا كبيرا على الحكومة من قبل تجار العاج الذين انظموا الى الثورة بعد نشوبها ، وكذلك قيام الحكومة بمكافحة تجارة الرقيق ومحاربة النخاسين ، والذي تسبب بقطع طرق المواصلات بين السودان والحجاز بحجة منع هذه التجارة قد اثر على مداخيل تجار الرقيق ، فانقلبوا على

الحكومة وقام قسم منهم بمناصرة المهدي والانضمام الى الثائرين ، علما ان المهدي كان من ألد أعداء تجارة الرقيق وحاربها بشدة . كما وان استخفاف الحكومة المصرية بحركة المهدي عند بدايتها واضطرارها الى سحب قسم من قواتها للمشاركة في اخماد ثورة احمدعرابي وعدم ارسال الامدادات فيما بعد لاعتقادهم ان القوات الموجودة في السودان قادرة على القضاء على حركة المهدي . (٣٤)

لقد تبلورت كل هذه العوامل ونتائجها فوجدت زعيمها وفلسفتها في شخصية المهدي القوية المتواضعة وفي اعلانة المهدية والثورة معا . وكانت بساطة المجتمع السوداني وشدة تمسكه بالدين الاسلامي والتقاليد العربية الاصيلة وتوافد العلماء والفقهاء والمشايخ الذين شدوا ازر المهدي واثاروا الحماس للجهاد في سبيل الله ومحاربة الاتراك والانكليز هي السبيل الوحيد لاقامة دولة اسلامية في هذه البقعة من الارض العربية .

أهم معارك المهدي وأنتصاراته :-

لاشك ان الهزيمة المنكرة التي منيت بها الحكومة في السودان قد سببت لها حرجا كبيرا ، وانتشر خبر انتصار المهدي في كل مكان ، وقد ذكرنا سابقا انه رحل الى جبال النوبه بعد واقعة ابا واثناء سيره توافد عليه الكثير من الناس وبايعوه على الجهاد وحين وصل (تقلي) ، رحب به ملكها (ادم دبالو) الذي سبق وان عقد معه تحالفاً ، وقام ملك تقلي بمساعدته وارسل الجواسيس لحسابه لمعرفة تحركات قوات الحكومة التي تلاحقه للقضاء عليه وعلى ثورته ، وفعلا تبين ان مدير كردفان محمد سعيد باشا يتعقبه مع قوة تعدادها ١٤٠٠ جندي وعند وصول هذه القوة قريبامن جبل (قرير) سرعان ما انسحبت بسرعة خوفا من الهزيمة بعدما علمت ان المهدي مستعد لملاقاتها . بعد ذلك حاول راشد بيك امين مدير فاشودة ان يثبت مقدرته الحربية والادارية ويمني نفسه بالقضاء على المهدي في معركة مفاجئة وحاسمة تجلب له النصر وتعزز من مركزه لدى الحكومة فقام بقيادة قوة مكونة من ٤٢٠ جنديا يعاونهم الفٌ من رجال القبائل الموالين للحكومة وتقدم بسرعة وبسرية تامة الا ان احدى اعوان المهدي وتدعى (رابحة الكنانية) كشفت خطة راشد بيك عند اقترابه من القرير فاسرعت الى المهدي بعد ان سارت يوما كاملا واخبرته بالامر فعمل المهدي كمينا وفاجاء عدوه صباحا بعد ان صلى الصبح بانصاره في (٩ كانون الاول ١٨٨١ م) ليلحق هزيمة منكرة بجيش راشد بيك الذي قتل في المعركة مع عدد كبير من جنوده الا فئة قليلة استطاعت الهرب لتخبر الحكمدار بما حل بهم من هزيمة واستطاع المهدي الاستيلاء على عدد كبير من الاسلحة والذخيرة في المعركة .(٣٥)

على اية حال فان الانتصار الثاني الذي حققه المهدي وأنصاره على قوات الحكومة قد عزز من موقعه معنويا وعسكريا وازدادت إعداد الناس الذين يتوافدون عليه من كل مكان في حين ان الحكومة أصبحت في موقف لا تحسد عليه ، أمام الهزائم التي حظيت بها قوات الحكومة وتضاعف قوة وعزيمة المهدي بعد ان انضمت اليه إعداد كبيرة من رجال القبائل في غرب السودان اضطر رؤوف باشا الى طلب إمدادات من الحكومة المصرية التي استدعته إلى مصر في اذار (١٨٨٢ م) وعينت مكانه (جيكلر Giegler) النمساوي الاصل الذي كان مدير التلغرافات في عهد غوردون باشا وقد ابرق جيكلر الى الحكومة المصرية يعلمها ان الحالة لاتستوجب ارسال الإمدادات العسكرية وكانت الحكومة تؤيد هذا الراي لانها لم تكن في وضع يسمح لها بارسال الإمدادات خاصة بعد سقوط وزارة شريف باشا الثالثة في

(شباط ١٨٨٢ م) وسيطرة العرابيين على الحكومة وتاليف وزارة برئاسة محمود سامي البارودي الذي شغل فيها احمد عرابي نظارة الجهادية سيما وانه بحاجة الى الجيش وقد رأت الحكومة ان رؤوف باشا غير قادر على القضاء على ثورة المهدي وشعرت بضرورة تنظيم الادارة الحكومية في السودان وربطها مركزيا بالحكومة فاصدرت مرسومين في (٢١ شباط ١٨٨٢ م) يتضمن الاول توحيد الادارة والحكم في الاقاليم السودانية وانشاء وحدة ادارية تخضع لها كل المناطق بما في ذ لك مديريات شرق السودان ومحافظا ت سواحل البحر الأحمر وحكمداريا ت زيلغ وبربرة وهرروتاجورا وانشئت وزارة جديدة سميت بوزارة السودان وملحقاته،أما المرسوم الثاني فتضمن تعين عبد القادر باشا حلمي بمنصب حاكم عام السودان ووزيرالاقاليم السودانية [٣٦] .بعد رحيل رؤوف باشا اخذت الاشتباكات بين الثوار والجيش تتركز في ثلاث مناطق رئيسية : الأولى حول سنار على النيل الازرق والثانية باتجاه جبل قرير وبالقرب من النيل الابيض والثالثة في الابيض عاصمة كردفان .،وفي المنطقة الاولى هاجم الثوار سنار وكبدوا قوات الحكومة خسائر جسيمة . إضطرت هذه القوات الى الاحتماء في داخل الابنية الحكومية ومارست خلالها ابشع اعمال القتل والسلب والنهب لكن الحكومة استطاعت ارسال الامدادات ليضطر الثوار الى الانسحاب . وفي شرق النيل الازرق قامت ثورة بقيادة الشريف احمد طه ، فارسلت الحكومة ٥٠٠ جندي اضافة للقوات الغير نظامية بالاشتراك مع بضعة الاف من رجال قبيلة الشكرية بقيادة شيخها عوض عبد الكريم .، وقد تولى جيكلر قيادة هذه القوات الذي استطاع القضاء على هذه الثورة وقتل الشريف احمد طه ، وقد لعب رجال قبيلة الشكرية دوراً مهماً في هذه المعركة . ارسل جيكلر حملة الى الابيض مؤلفة (٤٠٠٠) مقاتل بقيادة يوسف باشة الشلالي مدير سنار . وكان من الموظفين اللذين لديهم معرفة جيدة في اقليم السودان . ، اتجه نحو الابيض قاصداً جبل (قرير) من طريق فاشودة ولما علم المهدي بزحف قوات الحكومة ، اعد العدة لقتالها ، ولما اقتربت القوة من جبل قرير وفي فجر (٣٠ ايار ١٨٨٢م) وبعد ان صلى المهدي بأصحابه انقض على جند الحكومه وهم نيام . ففتك بهم فتكاً ذريعاً . وقتل يوسف الشلالي في هذة المعركه. وسميت بأسمه وكانت معركه شديده على المهدي وانصاره لكن الله نصرهم وغنموا اسلحه وذخائر ومدافع من جيش الحكومه حدثت هذة المعركه في بدايه عهد عبد القادر باشا حلمي لكنه غير مسؤول عنها .[٣٧]

لقد اتخذ المهدي من انتصاراته دليلاً لصحه دعوته . وبالمقابل صدق الناس هذة الدعوة بعد الهزائم التي توالت على قوات الحكومة على الرغم من امتلاكها الاسلحه الحديثه .

نشبت عدة ثورات في الجزيرة ، وهي المنطقة التي تقع بين النيل الابيض والازرق وتمتد شمالا من جنوبي الخرطوم الى سنار جنوباً وتمتاز ارض الجزيرة بخصوبتها وكثرة زراعتها . وكان لهذا اثرا في ازدحام السكان وانتشار المدارس الدينية التي يقوم بادارتها العلماء والفقهاء والذين تربطهم بالمهدي علاقات حميمة لما عرفوا عنه من التقوى والورع والشجاعة والاستقامة التي تحلى بها المهدي منذ صباه . ونتيجة لذلك والانتصارات التي حققها على قوات الحكومة جعلتهم يقفون الى جانبه ، ومنهم الشيخ احمد المعكاشي الذي بايع المهدي وبقي معه مما سبب اذى لاخيه عامر

واهله وزجوا في السجن ولم يفرج عنهم الا بعد ان دفعوا مالا كثيرا الى الحاكم . بعدها اعلن الجهاد واستولى على سنار واستطاعت الحكومة ردها . ثم عاد ليضرب حصارا عليها . لكنه اجبر على الانسحاب امام قوات الحكومة ونشبت ثورة اخرى بقيادة محمد زين ، ومالبثت ان اخمدت بعد مقتل قائدها ، وعاد عامر المكاشيفي الى اثارة القبائل ضد الحكومة لكنها استطاعت ان تشتث قواته ، واضطر الى اللجوء الى المهدي في جبل قرير . (٣٨)

اما في كردفان فقد اضطرب الامن ، وزدادت سلطة المهدي وتوسع نفوذه وكثر اتباعه . فاتجه الى الابيض عاصمة كردفان التي كانت تحت حكم اللواء محمد سعيد باشا حكمدار السودان الغربي وفيها ستة الاف جندي حكومي ، . فهاجمها المهدي في (٨ ايلول ١٨٨٢) لكنه فشل وتكبد خسائر كثيرة من بينها مقتل شقيقه . ، اما قوات الحكومة فلم تتعقبه ، مما اتاح له فرصة اعادة تنظيم قواته من جديد . وفي اثناء ذلك هاجم الدراويش بارة التي استسلمت حاميتها المؤلفة من (٢٠٠) جندي وانضمت إلى المهدي ، بعد ان فرضوا عليها حصارا شديدا ، ودخولها يوم (٥ كانون الثاني ١٨٨٣ م) ، وبعد ذلك استانف المهدي حصار الابيض ، فاضطر محمد سعيد باشا الى التسليم ، بعد ان اشتد بهم الجوع وفتكت بهم الامراض ، ودخلها المهدي في ١٩ كانون الثاني ١٨٨٣ م وغنم كل اسلحتهم ودخائرهم ، بعد ذلك قتلهم جميعا . (٣٩)

وصل عبد القادر باشا إلى الخرطوم يوم ١١ ايار ١٨٨٢ فأدرك خطورة ثورة المهدي فارسل الى الحكومة المصرية يطلب المدد . لكن لم يلبي طلبه بسبب هزيمة الجيش المصري في معركة التل الكبير وانحلال الجيش ، وسيطرة الانكليز على سياسة الحكومة . فاضطر عبد القادر باشا الى الاعتماد على نفسه وتدبر امره سيما وانه من الضباط الكفوئين إدارياً وعسكريا متسما بالحزم والعزم . فأستطاع ان يعيد تنظيم قواته وزاد عدد الجند بتسعة آلاف من المتطوعين مسلحين باكثر من خمسة الاف بندقية جلبها معه من مصر . وحفر خندقا يصل النيل الازرق بالنيل الابيض فحصن الخرطوم وسنار ، واشرف على تدريب العساكر بنفسه واستدعى ست أورط من الجنود النظاميين من السودان الشرقي ، لكنه واجه عدة ثورات في انحاء الجزيرة مؤيدة لحركة المهدي ، فاراد اولا ان يزعزع الثقة بالمهدي لوقف تيار اندفاع الناس نحوه فقام بتكليف بعض العلماء في الازهر بان يكتب كل واحد منهم رسالة تكذيب دعوى المهدي والرد على حججه . ونشرت هذه الرسالة بين الاهالي وكان لها تاثير معهم في التشكيك بدعوى المهدي . وقرر بعد ذلك ان يحارب بنفسه في الميدان . فقاد جند الحكومة في معركة معتوق في ٢٤ شباط ١٨٨٣ م وانتصر فيها نصرا مبينا ، بعدها رجع الى الكوة في الخرطوم ، ونزل الى النيل الازرق وسار على راس جيشه حتى التقى بالثوار في معركة مشروع الداعي (شمال سنار) فنشبت معركة دامية استمرت ثلاث ساعات جرح فيها عبد القادر باشا لكنه هزم الثوار وقتل منهم اكثر من الف رجل ، فدخل سنار في ٢٦ شباط ، وضبط الامن واعاد هيبته الحكومة بعد ان شتت جمع الثوار وملأ قلوبهم رعبا ونكل بهم . (٤٠) في ظل انتصارات قوات الحكومة على الثوار شعر المهدي بخطورة الموقف ، وانه يواجه خصما عنيدا فلا بد له ان يتدبر امره بعد ان تكبد خسائر جسيمة بين انصاره .

اعد عبد القادر باشا خطة لمحاربة المهدي ، وهي ان يستمر مرابطاً بجيشه وبواخره النيلية عل طول

مجرى النيل الابيض وان يترك المهدي في كردفان محاصراً . ومع مرور الزمن سوف تنهك قوته لقلة موارده ، علماً انه كان يدرك ان مهاجمة المهدي في هذه المنطقة غير مضمونة النتائج ،. بعد ان نجح عبد القادر باشا في القضاء على الثورات في الجزيرة ، الح في طلب الامدادات من مصر وذلك للقضاء على المهدي نهائياً ، لكن الحكومة البريطانية خشيت ان يتغلب عبد القادر باشا على المهدي ويخمد ثورته . وبعد ذلك تثبت سلطة الحكومة المصرية في السودان ، وهذا ليس في مصلحتها ولايلبي اطماعها . وكانت بريطانيا تريد إكراه الحكومة المصرية على إخلاء السودان بحجة عجزها عن الاحتفاظ به ومن ثم القيام بفتحه من جديد ، لذلك وجدت الحكومة البريطانية في عبد القادر باشا خطراً يهدد مصالحها . فأوعزت الى الخديوي توفيق الذي لا يرد لها طلباً بأبعاده ،إضافة الى ان رجال حاشية الخديوي افهموه بأن عبد القادر باشا يسعى الى الاستقلال بالسودان ، فلبى الخديوي طلب بريطانيا واصدر امراً في ٢٠ كانون الثاني عام ١٨٨٣ م بالغاء نظاره السودان . وتعيين علاء الد ين باشا حكمدار لعموم السودان وملحقاته وكان هذا اخر حكمدار يعيين قبل اخلاء السودان بدلاً من عبد القادر باشا الذي تركته يجابه الثوار . ولم تخبره بالامر الى ان غادر الخرطوم في اواخر نيسان عام ١٨٨٣ م .عم الاستياء الشديد في السودان والاعراب الموالين للحكومة فقدموا التماساً الى الخديوي لإلغاء الامر ، وشاركهم في ذ لك القناصل والنزلاء الاوربيون . لكن دون جدوى . في حين استبشر المهدي وانصاره برحيل عبد القادر باشا [٤١] رأى الخديوي انه لابد من الاحتفاظ بالسودان بعد القضاء على ثورة المهدي ، لكن لم يكن الجيش المصري في حالة تسمح له بدخول الحرب بعد استيلاء الانكليز على مصر وتسريح الجيش العرابي ، بينما اعلنت بريطانيا انها لا يمكن تقديم أي معونه لمصر في السودان وانها لا تسمح باستخدام الجيش المصري الجديد الذي كان ينظم على يد ضباط إنكليز والذي يبلغ تعداده ستة الاف جندي [٤٢] .

لجأ الخديوي الى تجنيد عشرة الاف جندي من الذين سرحوا من جيش عرابي ، وارسالهم الى السودان على الرغم من رفضهم المشاركة في الحرب ضد المهدي ولكنهم اجبروا على ذلك اختار الخديوي الكولونيل هكس(Hicks)رئيسا لاركان حرب الجيش ، وهو ضابط انكليزي خدم في الهند والحبشة .

وقد وصل الى مصر عام ١٨٨٢ م وسمح له باختيار ضباط بريطانيين واوربيين معه فاختار ثمانيه ضباط ، وكان هذا التعيين بعيداً عن الحكمة لأن ثورة المهدي ذات طابع ديني ، بينما هكس قائد مسيحي وهذا يثير روح التعصب والحماس في نفوس الثوار ويزيد من التفاف الناس حول المهدي ، لذلك تم تعيين سليمان تيازي باشا قائداً اسمياً للجيش لكنه لا يستطيع ان يبت في امر عسكري دون موافقة هكس .وعلى الرغم من ان الحمله العسكرية تمت بعلم الحكومة البريطانية ومشاورتها الا انها تخلت عن المسؤولية ، وابرقت الى القائم باعمال السير ادوارد ماليت في ٧ أيار ١٨٨٣ م ذكرت انها غير مسؤولة عن العمليات العسكرية التي تجري باسم الحكومة المصرية في السودان ، ولا عن تعيين هكس او ما يقوم به من تصرفات [٤٣] .

لقد دب الخلاف بين هكس وسليمان باشا منذ بداية الحملة ، وانتهت بتقديم هكس استقالته للخديوي . وبدلاً من قبولها تم ترقيته إلى رتبة فريق وجعله قائداً للحملة بصحبة الحكمدار علاء الدين باشا . اما

سليمان نيازي باشا فتم نقله الى حكمدار شرق السودان الذي خرج يقود حملة مؤلفة من ٥٦٠٠ مقاتل قاصداً الكوة لقمع الثوار . فالتقى مع الدراويش في المرابيع يوم ٢٩ نيسان ١٨٨٣ م وانتصر عليهم انتصاراً كبيراً . ثم عاد الى الخرطوم . [٤٤] وفي ٨-٩ أيلول تحرك الجنرال هكس باشا بجيشه من الدويم الى الابيض عاصمة كردفان للقضاء على المهدي مع (١٣٠٠٠) مقاتل اغلبهم من جيش عرابي القديم ، وسرعان ما حدثت خلافات جديدة بين هكس الذي يعتقد ان القوة غير كافية وبين علاء باشا الذي يرغب بمهاجمة المهدي لأن حالة الجيش بدأت بالهبوط اخيرا ً. استمرت الحملة بالسير الى الابيض رغم انها واجهت صعوبات كثيرة انهكت افراد الجيش الذي قطع اكثر من مائتي ميل ، اضافة الى شعور المقاتلين من جيش عرابي بان الحكومة تريد التخلص منهم . لم يكن هكس يسير على هدى ، لأن المرشدين والادلاء الذين استخدمهم ليدلوه على مسالك الطرق هم من عيون وجواسيس المهدي ينقلون اليه تحركات جيش هكس ، فتقوم طلائع المهدي بمهاجمة الجيش اثناء سيره في الطريق .وبعد اكثر من شهر وصلت الحملة الى شيكان يوم ٥ تشرين الثاني ١٨٨٣ م ، وانتهى الامر بان الحملة قد ضل بها في منطقة وعرة ووادي مفتوح تحيط به الاشجار الكثيفة من كل جانب . وعند دخول الجيش في هذا الوادي اطبقت عليه جموع المهدي من كل جانب ، مصحوباً بانصاره عبدالله التعايشي وعلي ود الحلو وشريف محمد والامير يعقوب التعايشي وادم ود النجومي فكانت موقعه شيكان اشبه بمجزرة بشرية قتل فيها الجنرال هكس وعلاء الدين باشا ، بحيث لم ينجوا سوى ضابطين وثلاثمائة جندي اختبئوا بين الاشجار ، ليصبح الموقف في السودان خطيراً على حاميات الحكومة المصرية والاوروبية فبادرت الى التسليم الى المهدي [٤٥] ففي كانون الاول ١٨٨٣ م قام رودلف سلاطين باشا النمساوي الاصلي ومدير دار فور بتسليم نفسه واعقبه لبتون الشاب البريطاني في مديرية بحر الغزال في نيسان ١٨٨٤ م اما امين الالماني مديرية خط الاستواء فقد ابدى مقاومة باسلة ضد قوات المهدي والذي استطاع الانسحاب الى الجنوب واللجوء الى الحكومة المصرية . التي امرته بأن يعود الى مصر عند انسحاب الحكومة المصرية من السودان [٤٦]

على أي حال فقد وقعت موقعة شيكان في محرم ، والمعروف ان المهدي لايحارب في محرم لكنه اجبر على ذلك ، وعليه اعتقد الناس ان الحملة التي قادها هكس قد اصيبت بنكسة الاهيه لايمكن تفسيرها ، مما عزز موقف المهدي بين الاهالي مجدداً واعطى زخماً معنوياً وعسكرياً له ولأنصاره .

أحدثت الانتصارات الساحقه التي حققها محمد المهدي أصداء واسعه وعظيمه في العالم الاسلامي والعربي والاجنبي ، فقد وفد على المهدي وفود من مسلمي الهند ومراكش وتونس والحجاز ومناطق اخرى يهنؤنه بانتصاراته ويبايعونه لمهديته ، اما في مصر فكانت الهزيمه أشد قسوة على الحكومه المصريه واصبحت لاتستطيع ان تتخذ أي اجراء ضد المهدي . فكرت مصر في طلب المساعدة من الدوله العثمانيه . وكان رد الحكومة البريطانية الموافقة شرط ان تدفع الحكومه العثمانيه نفقات الجيش العثماني التي تقتصر مهمته على السودان . لكن الحكومه العثمانيه كانت في وضع لايسمح لها بدفع هذة التكاليف ، لأن مصر على وشك الافلاس بسب سياسه اسماعيل الاقتصاديه الغير صحيحه . وبما ان السودان هي فرع من المسأله

المصريه فلاغرابه اذا ما اصرت بريطانيا على اخلائه حتى لايسبب انهياراً مالياً واستنزاف الخزينه المصريه [٤٧].

قام السير افلين بارنج Sir Evilyn Baring الذي عرف بعد ذلك (باللورد كرومر) ممثل الحكومة البريطانية في مصر بمقابله الخديوي وابلغه نصيحه الحكومة البريطانية بإخلاء السودان ، وسحب الجيش المصري منه ، وان هذة النصيحه أمر عال لابد من تنفيذه . كما قابل رئيس الوزارء المصريه شريف باشا في ٢٢ كانون الاول ١٨٨٣ وابلغه تعليمات الحكومة البريطانية . لكن شريف باشا رفض سياسة الاخلاء وقال ان هذا الانسحاب سوف يضر بمصالح مصر السياسيه والاقتصاديه . وردت الحكومه البريطانيه على الخديوي وذكرت ان الحكومه التي لاتقبل نصيحه بريطانيا في المسائل الهامه ، يجب ان تستقبل ، ولذلك اضطر شريف باشا الىالاستقاله في ٧ كانون الثاني ١٨٨٤ م . وكُلف نوبار باشا الارمني الجنسيه بالوزارة الذي قبل الانسحاب من السودان فيما بعد [٤٨] .

ويبدو ان استقاله شريف باشا من الوزارة قد سجلت احتجاج مصر على سلخ السودان ، وتدخل الانكليز واعتدائهم على حقوق مصر واستقلالها .

رغم معارضه الحكومه ارسال الجنرال غوردون الى السودان لانها كانت ترغب باناطه المهمه الى عيد القادر باشا حلمي ، لكن انكلترا لم تأبه للاعتراض ، فقرر مجلس الوزراء البريطاني في ١٨ كانون الثاني ١٨٨٤ م إرسال غوردون الى السودان . وقد تم ترحليه في نفس اليوم . كان اعتراض الحكومه المصريه مستند على ان غوردون سبق له وان فشل في السودان واسناد القيادة له وهو مسيحي سوف يؤدي الى تقويه المهدي . لكن نتيجه للضغوط التي مارستها انكلتر ، أصدر الخديوي امراً في ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٤ م تم بموجبه تعين غوردون حاكماً عاماً للسودان . ووجه نداء لأهالي السودان بطاعته ونية الحكومة المصرية في الانسحاب من السودان . بعد ذلك اذاع كرومر أنباء عن عزم الحكومة البريطانية تعين وزراء انكليز في حاله عدم تحمل أي وزير مصري تبعه الانسحاب من السودان ، فلما علم الخديوي بذلك أصابه الهلع وأرسل في طلب نوبار باشا .الذي ابلغ كرومر بأن وزارته وافقت على سياسه ترك السودان . وأصدر نوبار باشا تعليماته فوراً بأخلاء السودان وترحيل الموظفين والجاليات الاوربيه والمسيحيه من الخرطوم التي قدر عددها بـ(١١) الف ، واصدر أمراً بسحب حميع الحاميات العسكريه من السودان والتي قدر عددها بـ(٢٥) الف بكامل اسلحتهم ومعداتهم ، وأوكل هذة المهمه الى غوردون إضافه الى حفظ النظام في البلاد وأرجاعها الى سلاله الملوك الذين حكموها قبل الفتح المصري [٤٩]. وصل غوردون الخرطوم بتاريخ ١٨ شباط ١٨٨٤ م ومعه الكولونيل استيوارت باشا وأبرهيم فوزي بك ، فجمع مجلساً من الاعيان وكبار التجار وتلا عليهم أمر تعينه وأوعدهم خيراً باقرار العدل ، واشار الى وكيله استيوارت باشا . وأمرهم بطاعته علماً انه لم يشير الى أي من الضباط المصريين.[٥٠]

بدأ غوردون يتحبب للاهالي ، واباح لهم تجارة الرقيق والغى الضرائب المتاخره ، واطلق سراح المسجونين ، ووزع الغلال على الاهالي ، وتوعد كل من يخريج عن طاعته ، وقام بأرسال هديه الى المهدي وطلب منه الكف عن القتال ، وتعينه أميراً على كردفان ، لكن المهدي رفض هديه غوردون ومنحته ، ودعاه الى اعتناق الاسلام . بعد ذلك اذاع غوردون منشوراً على

الاهالي يبلغهم بفصل السودان عن مصر نهائياً وانه اصبح حاكماً عليها . وذكر انه عين المهدي اميراً على كردفان ، وانه اباح تجارة الرقيق واعفاء الاهالي عن الضرائب لمدة سنتين [٥١] .

لم تأتِ هذة الإجراءات بنتيجه لغوردون بل اضعفت هيبة الحكومه وجعلت الناس ينظمون الى الجانب الاقوى وهو المهدي الذي سار في بسط نفوذه وسلطانه في البلاد ، مما جعل خصمه يشعر بالحرج الكبير ، فاضطرغوردون الى العدول عن سياسته المسالمه واستعد الى الدفاع والمقاومه وطلب المدد من مصر التي رفضت طلبه ، ثم طلب تعين الزبير باشا حاكماً للسودان ، لما له من نفوذ يعتقد انه يستطيع مقاومه المهدي ، لكن رفض طلبه لان الحكومه البريطانيه لاترغب باخماد ثورة المهدي وعودة السلطه للحكومه المصريه . عندها الح في طلب تعين الزبير باشا لكن لم يستجب لطلبه وترك وحده في الميدان . [٥٢]

توالت انتصارات الدراويش (انصار المهدي) قبل وصول غوردون . فقد حدثت عدة معارك منها معركه التيب الثانيه (واقعه طوكر) التي وقعت يوم ٤ شباط ، انتصر فيها الدراويش على عساكر الجنرال فالنتين بيكر ، قتل منهم ٢٣٠٠ جندي و ٩٢ ضابطاً وهرب الباقون الى سواكن . وفي ٨ شباط ١٨٨٤ م انتصر الدراويش في معركة سكنات على جيش محمد توفيق بك الذي تعداده (٦٠٠) مقاتل بعد حصار طويل اصابهم الجوع والمرض ولم يلقوا شيئاً يأكلوه وتم ابادتهم جميعاً ولم يبق منهم سوى خمسه رجال بينهم قاضي سكنات وثلاثون امراة. [٥٣]

كانت لهذه الهزائم صدى كبير في مصر بعد واقعه شيكان المرة ، وكانت هذة الهزائم نذيراً بسقوط المدن السودانيه الواحده بعد الاخرى وبدأ المهدي يفتح عواصم المدن السودانيه ويمد نفوذه شرقاً وغرباً ويحاصر الخرطوم الذي ظل فيها غوردون مرابطاً على امل ان يصله المدد من مصر لقد شعرت الحكومه البريطانيه بضغط من الراي العام البريطاني والأوروبي بشأن نجدة غوردون . اضطرت ان ترسل الجنرال اللورد ولسلي (Wolsley) على راس جيش مقداره تسعة آلاف جندي . وسميت هذة الحمله (حمله الانقاذ) الذي اشترك فيها الجيش المصري وابلى فيها بلاءً حسناً ، ولم يكن الغرض من الحمله اعادة سلطه الحكومه المصريه وانما انقاذ غوردون والجنرال استيوارت فقط . وبدات الحمله تسير ببطء . فوصلت في ٥ تشرين الاول ١٨٨٤ الى وادي حلفا . بعدها وصل الى دنقله في ٣ تشرين الثاني . بعدها وصل الى كورتي في ١٦ كانون الاول فاتخذها معسكراً له وقسم جيشيه الى قسمين الاول بقيادة الجنرال السير هربرت ستيوارت الذي سار في طريق الصحراء ال (لمتمه) والثاني بقيادة الجنرال (أرل) وسار في طريق النيل قاصداً بربر .[٥٤]

تحركت حمله الصحراء في اواخر شهر كانون الاول ١٨٨٤ بقيادة السير هربرت والتقت بجموع الدراويش في في أيار (ابي طليح) في ١٧ كانون الثاني ١٨٨٥ م . واستطاع هزيمة الدراويش . واستمرت الحمله الى ان وصلت المتمه لتلتقي بجموع المهدي في القبه جنوب المتمه . انتصر فيها جيش هربرت ، الا انه جرح جرحاً مميتاً ليتولى القيادة مكانه السير شارلي ويلسن الذي اتصل برسل غوردون في القبه بينما كانت الخرطوم على وشك السقوط . وعندما وصل ويلسن في ٢٨ كانون الثاني بدأ بالقرب من الخرطوم شمال الحلفايه علم بمقتل غوردون وسقوط الخرطوم على يد المهديين ،

ابلغ ويلسن هذا الجنرال ولسلي ليبرقه بدوره الى لندن. (٥٥)

اما الجنرال إرل Earl قائد حمله النيل التي بلغ تعدادها ثلاثة الاف جندي مع ٥٠٠ قارب لنقل المشاة والفرسان والمدفيه بقيادة البكباشي أحمد سليمان ، وعندما وصل الجيش الى كريكان في ١٠ شباط ١٨٨٥ م التقى بانصار المهدي الذين هزموا امام قوات الحكومه على الرغم من مقتل أرل قائد الحمله . بقيت الحمله في كريكان الى ان استلمت امر الحكومه البريطانيه بوقف الزحف والرجوع الى مصر . وبقي المهدي يحاصر الخرطوم لكن غوردون أراد تخفيت الحصار باجلاء الدراويش عن الحلفايه بالقوة ، وارسل ٤٠٠٠ جندي لكنهم هزموا امام الدراويش في واقعه (الشرق) في ١٦ اذار ١٨٨٤ ، بعدها ارسل غوردون وكيله استيوارت باشا الى مصر عن طريق النيل لاستعجال المدد ، لكنه وقع بيد الدراويش في قريه (هبه) وقتل ومن معه في ايلول ١٨٨٤ م . (٥٦)

جعل المهدي عامله عبد الرحمن النجومي قائداً على جموع الانصار الذين يحاصرون الخرطوم وهو من القادة الشجعان ، فلما تأخر النجومي في فتح الخرطوم . زخف المهدي بجيشه الذي تعداده ٦٠ الف مقاتل قاصداً الخرطوم (٥٧) ضرب عليها حصاراً وبقي الى شهر تشرين الثاني لانه لايريد الحرب في محرم .فكتب الى غوردون في ١٩ تشرين الثاني يدعوه للتسليم ، لكن اجابه غوردون بالتهديد والوعيد . فامر المهدي بضرب الخرطوم من كل الجهات بعد ان اشتد الجوع والمرض في صفوف جيش غوردون ، ومات الكثير في الطرقات . وحاول غوردون يأساً فك الحصار بارسال حاميه في أول كانون الثاني ١٨٨٥ . لكنها تكبدت خسائر فادحه واعقبها بقوة اخرى قي ٣ كانون الثاني لكن دون جدوى . وفي الخامس من الشهر نفسه سقطت ام درمان . وارسل المهدي خطاباً الى غوردون في ٦ كانون الثاني يدعوه للتسليم ، واعاد الطلب في اليوم التالي لكن دون جدوى وفي اثناء ذلك وصلت اخبار غير سارة للمهدي بانتصار حمله الانقاذ في ابي طليح ، فقرر فتح الخرطوم بالقوة قبل وصول الإمدادات .(٥٨) وفي فجر يوم الاثنين ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٥ هجم المهدي وانصاره على الخرطوم هجوماً عاماً ، واستطاعت جموعه من اقتحام الخندق الذي كان بأمرة فرج باشا الزيني وحاميته بعد ابادتها . ودخلوا المدينة منتصرين واستمر ذبح جنود غوردون بدون رحمه حتى بلغ عدد القتلى في يوم المعركه ٢٤٠٠٠ الف نسمه عدا من قتل من الجند وعدوهم ثمانيه الاف ، وقتل الجنرال غوردون وذهب برأسه الى المهدي الذي لم يكن راغباً بقتله لانه اراده حياً وذلك لانه كان يفكر ان يفاوض الحكومه البريطانيه لفك أسر احمد عرابي مقابل غوردون سيما وان المهدي كان يعتقد بأن عرابي سوف يفيده في حملته التي كان ينوي فيها غزو مصر (٥٩) وقد احدث مقتل غوردون هزه عنيفه داخل انكلترا حتى ان الملكه لبست عليه ملابس الحداد . وتركت المذابح التي ارتكبت في الخرطوم اثراً كبيراً في مصر وفي العالم ، اذ كان نذيراً بالقضاء على الحكم المصري في السودان.(٦٠)

<u>نتائج الثورة بعد سقوط الخرطوم :</u>

وكان من نتائج الثورة بعد سقوط الخرطوم استقاله سردار الجيش المصري الجنرال أفلن ود باشا من منصبه في نيسان ١٨٨٥ م . وكان يعتقد ان يعين عبد القادر باشا حلمي مكانه بعد فشل الجنرالات الانكليز، لكن بريطانيا ابت الا ان يحل مكانه جنرال انكليزي فعين السير فرنسيس جر نفل باشا سردار الجيش

المصري في ١٩ نيسان ١٨٨٥ م بعدها طلبت بريطانيا من الحكومة المصرية جعل حدودها الجنوبيه في وادي حلفا . فاذعنت للطب واخلت دنقله وقررت في حزيران جعل حدودها الجنوبيه في (كوشه) وفصلت البلاد بين اسوان ووادي حلفا وجعلتها محافظه الحدود، وابقتها تحت الأحكام العسكرية .ولم يمضِ عام ١٨٨٥ م إلا وقد اخلت مصر جميع حامياتها وموظفيها من السودان وسيطر المهديون على السودان . (٦١)

بعد سقوط الخرطوم أصبحت تعج بآلاف القتلى من الجانبين ، وعمها الخراب والدمار بسب اصرار غوردون على المقاومه ، وقامت قوات المهدي بقيادة عبد الرحمن النجومي بتعقب القوات البريطانيه التي كانت بحاله سيئه ومحاربتها حتى تخلي البلاد واتجهت طلائع الثوار جنوباً الى بربر . وقام المهدي بتعزيزها بالرجال لان ولسلي أراد الهجوم عليها . لكن قواده ابلغوه بصعوبه ذلك من النواحي العسكريه . بعدها قرر ولسلي الانسحاب الى كورتي ، فوصلها في اذار ١٨٨٥ م ليبلغ حكومته باخفاق قواته في القضاء على المهدي الذي اصبح قديساً في نظر السودانيين .(٦٢)

لقد هاجم الراي العام البريطاني القائد ولسلي لتقصيره في انقاذ غوردون لانه تأخر يومين على الرغم من تكاليف الحمله العسكريه وما اصابها من خسائر في الارواح والمعدات . وبعد سقوط وزارة الاحرار وتولي المحافظين الوزارة في ٢٤ حزيران ١٨٨٥ م اصبح قرار انسحاب القوات من السودان أمراً واقعاً خوفاً من حرب طويله الامد سيما وانه بدأ نزاع روسي بريطاني بسبب المسأله الافغانيه . لذلك تلقى ولسلي امراً بسحب قواته الى شمال وادي حلفا ليصبح شمال وادي السودان جزا من دوله المهدي الجديدة. (٦٣)

أرادت بريطانيا بناء خط حديدي بين سواكن وبربر لتأمين خطوط المواصلات ، فأرسلت جيش القائد جراهام مع ثلاثة عشرالف جندي بريطاني واسترالي وهندي مع أورطة مشاة وبطارية ميدان الى سواكن للقبض على عثمان دنقله وتحطيم قواته . وكان الجيش البريطاني بقيادة السير ما كتيل الذي بدأ يحصن الخطوط خوفاً من هجوم عثمان دنقله المباغت . وفعلاً فقد باغت عثمان الجيش البريطاني في توفريك في ٢٢ أذار ١٨٨٥ م واشتبك الجيشان في معركة ضارية تكبد الطرفان خسائر في الارواح والمعدات واستخدم عثمان دنقلة أسلوب حرب العصابات والمناوشات ضد القوات البريطانية التي اضطرت حكومتها الى الانسحاب وفشل مهمتهما في ايار ١٨٨٥ م بعد ذلك استقرت الامور لصالح محمد المهدي في الخرطوم ، وفي ٣ كانون الثاني استقل المهدي باخرة غوردون التي أطلق عليها اسم الزبير احياء لذكرى الزبير باشا واسماها المهدي (الطاهرة) وعبر بها النيل الى الخرطوم ، وبقى فيها حتى زوال الخطر البريطاني. وفي اواخر شباط أنتقل الى ام درمان وبنى فيها جامعاً يتسع لالف مصلي . وبدا الناس يتوافدون عليه في هذه المدينة التي اصبحت فيما بعد مزدحمة بالسكان وعاصمة الدولة المهدية ومركز الدعوة والارشاد . وقد اطلق عليها المهدي اسم البقعة المباركة .(٦٤)

طبيعة الحركة وعلاقتها مع الحركات الإسلامية والأطراف لخارجية الأخرى :

لقد أرسى المهدي اللبنات الأساسية لدولته الإسلامية المنشودة التي أساسها القران والسنة النبوية الشريفة ، فكان يترسم أعمال النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم عندما لقب نفسه بالمهدي وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقل سلطاته الدينية إلى خلفاء

أربعة على غرار الخلفاء الراشدين وهم عبد الله التعايشي وعلي ودحلو والسنوسي بليبيا والخليفه شريف ابن عم المهدي . وكان تسلسلهم حسب ما جاء بترتيب الخلفاء الراشدين . وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام .واعطى القيادة للخلفاء الثلاثه وحسب الترتيب . ومنح لكل جيش رايه وبالالوان الاسود والاخضر والاحمر وحسب التسلسل ايضاً واهتم المهدي بتنظيم الإدارة المالية منذ البدايه وحسب تطابق الشرع في جمعها وتقسيمها . وكان مصدر جمع المال عن طريق الزكاة والغنائم . وبدأ يجمع الزكاة والعشور (عشر الممتلكات) منذ تشرين الثاني ١٨٨٣ م . اما الغنائم فكانت تجمع بعد فتح المدن او انتهاء المعارك لصالح المهدي . فكانت تودع في بيت المال ، وتجمع من قبل جنود نظامين مختصين بذلك لدفع مرتبات الجنود منها وتوزع اربعه اخماس الغنائم على المجاهدين المتطوعين ، والجزء الخامس يوضع في بيت المال . ومع تطور دولته امر المهدي بضرب عمله خاصةً ومستقله بحكومته من الذهب والفضه لتغطيه النقص الحاصل في العمله فاصبحت دولة المهدي مستقله في عملتها النقديه القويه وكان المسؤول عن الموارد الماليه والاقتصاديه احمد ولد سليمان الذي اؤتمنه المهدي الا ان الخليفه عبد الله التعايشي اعدمه بعد ان اختلف معه .[٦٥]

اما في الشؤون الاداريه فمنذ ان اعلن المهدي ثورة في جزيرة ابا كان يدير شؤونه الاداريه بنفسه وبانصاره فكان هو القائد ورئيس الدولة ورئيس الوزراء والمسؤول المالي والاداري وكان يستشير انصاره وقواده باستمرار . لكن بعد فتح الخرطوم اصبحت الامور الاداريه تحتاج الى جهد اكبر ، لذلك عين سبعه امناء ليكونوا بمثابة وزراء وجعل التعايشي رئيساً لهم فكان المهدي ينوي غزو مصر وضمها الى دولته .لذلك جعل الامور الادارية جانباً ليتفرغ لاعداد جيش لهذا الغرض.[٦٦]

أما الاقاليم فقد عين عليها أمراء من الذين جاهدوا في سبيل الله ضد الانكليز والاتراك فكان الامير هو المسؤل المالي والاداري في الاقليم ، وامر المهدي بابطال كل المذاهب والطرق الصوفيه وعدم الاخذ بأراء العلماء دون الرجوع الى الكتاب والسنة . وكان لهذا الامر ان اصبحت السودان وحدة متماسكة . [٦٧]

اما سياسه المهدي الخارجيه فكانت يمني نفسه بالسيطرة على مصر والحجاز وبلاد الشام وتركيا . واراد ان يقود حركه دينيه تحرريه تعيد للاسلام وجهه الحقيقي وعزته والتخلص من الاستعمار تحت رايه الاسلام . ولم تغب هذه الاطماع عن الادارة البريطانيه لذلك عزمت على الدفاع عن حدود مصر الجنوبية بكل قوة علما انهم يعرفون ان الشعب المصري والصعيد ينتظرون قدوم المهدي للانظمام اليه لطردهم من مصر . [٦٨]

لم تمهل الايام المهدي ولم تعطه الفرصه اللازمه لتحقيق احلامه الكبرى في اقامه دولة اسلاميه كبرى . وقبل شهر رمضان كتب لكل المسلمين في اقاليم السودان يعلمهم انه يريد ان يعتكف للعبادة في شهر رمضان ولاينشغل بامور الدنيا وبعد اربعه ايام من اعتكافه عام ١٨٨٥ م اصيب المهدي بمرض التيفوس الذي لم يمهله كثيراً . فتوفي في يوم الجمعه الموافق ٩ رمضان ١٣٠٢ الموافق ٢٢ حزيران لتطوى صفحه مهمه من تاريخ السودان ولتبقى زعامته الوطنيه ساميه في نفوس السودانيين جميعاً. ودفن في ام درمان . وترك ثلاثة أبناء وثلاثة بنات وزوجتين[٦٩].

المصادر والهوامش

١- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ط٢ ، مطبعه النهضه ، القاهرة ، ١٩٤٨ ص٨٣

٢- مورهيد الأن ، النيل الازرق ، ترجمه عباس ابو الريش ، بيروت ، ١٩٦٩ ،ص٤٨.

٣- حسن محمد درويش ، الوزارات المصريه في ظل حكم الاسرة العلويه ، ج١ ، ط١ ، مطبعه الابتهاج ، القاهرة ، ١٩٢٤، ص٩٦.

٤- د. رافت غنيمي الشيخ ، أفريقيا في التاريخ المعاصر ، دار الثقافة للطباعه والنشر ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص٦٧ .

٥- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث ، ط٣ ، مكتبه الحياة ، بيروت ، ١٩٦٤ حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص٩٨ ، ص٢٣-٢٤ .

٦- عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، ج٣ ، ط١ ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص١٢٢-١٢٣ ؛ د. فاروق عثمان أباضه عدن والسياسه البريطانيه في البحر الأحمر (١٨٣٩- ١٩١٨) ، الهيئة المصرية العامه للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص١٠١ .

٧- عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، ص١٢٩ ؛ ابراهيم سامي احمد ، التاريخ القومي ، ط١ ، مصر ، ١٩٥٦ ، ص٢١٣ .

٨- حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص٩٨ ؛ ابراهيم سامي احمد ، المصدر السابق ، ص٢١٣ ، ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

٩- حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص٩٨-٩٩. شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، حضارته وعلاقته بمصر من اقدم العصور الى الوقت الحاضر ، ص٧ .ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٧ .

١٠- العلماء : القاضي محمد الاسيوطي الحنفي ، السيد احمد البقلي الشافعي ، الشيخ السلاوي المغربي ، (ضرار صالح ضرار، مصدر سابق ، ص٢٧ ، عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، ص١٣٣)

١١- د. علي ابر أهيم عبده ، مصر وأفريقية في العصر الحديث ، دار القلم ، ط١، مصر ، ١٩٦٢ ، ص٢١ ،ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص٢٧-٢٨ .

١٢- عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر محمد علي ، ص١٣٤-١٣٦ ؛ ضرار صالح ضرار، المصدر السابق ، ص٤ .

١٣- د. علي ابراهيم عبده ، المصدر السابق ، ص٢١-٣٢ ؛ إبراهيم سامي أحمد ، المصدر السابق ، ص٢١٣-٢١٤ ؛ جمال عبد الجواد ، مصر في السياسة السودانية مجلة المستقبل العربي ، العدد(٧٩) ، السنه التاسعة ، ١٩٨٥ ، ص٦٩ .

١٤- عمر طوسون ، تاريخ مديريه خط الاستواء ، ج١ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص١٣ ، عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان قي اوائل عهد الاحتلال ، ص١٥٩ ؛ ابراهيم سامي احمد ؛ ص٢١٣

١٥- محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص[٢٥٥] ؛ عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر اسماعيل ، جـ[٢] ، ط[٢] مكتبه النهضه ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص[١٥٢-١٥٣] ؛ د. علي ابراهيم عبده ، المصدر السابق ،ص[٤١- ٤٢] .

١٦- مكي شبيكه ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن الثامن عشر الميلادي ، دار الثقافه (مطبعه سيما) بيروت ،١٩٦٥ ، ص[٦٣٩ - ٦٤٠] ؛ ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ص[١٠٨] ؛ د. احمدعزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضه ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص[٢٣٤] .

١٧- د. شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، جـ[٣] ، الانجلو المصريه ، القاهرة ، ١٩٧٧ ن ص[٢٣] .

18- wingat, Mjor, F,R, Mahdism & the Egyption sudan , 1891,P.13.

١٩- الدراويش جمع درويش وهي كلمه فارسيه معناها الفقير (المكتفي بالقليل) وبظهور التصوف في الإسلام اتخذت الكلمة معنى يتفق وهذه الحركة فاصبح الدرويش هو الرجل الذي يلبس خرقه الصوف د. عبد اللطيف حمزة ، الحركه الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي ، ط[١]، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٤٧ ، ص[١٤٠] .

٢٠-ابراهيم سامي احمد ، المصدر السابق ، ص[٢١٦] .

٢١- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٩٢] .

٢٢- ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص[١٠٧] .

٢٣- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٩٢] ، جلال يحيى ، الثورة المهديه وأصول السياسه البريطانيه في السودان ، مكتبه النهضه ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص[٢١] ، ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص[١١٠] .

٢٤- ابراهيم سامي احمد ، المصدر السابق ، ص[٢١٦]، د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، جـ[٣] ، ص[٢٣] .

٢٥- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ص[٩٤] ؛

Slatin, R, Ferelfeu an soudan,(Traduit DEL Edition Alemande par G.BettexLccaire. 1898 .T.I. P.178.

٢٦-wingate, op.cit. P.13-14؛ ضرار صالح ضرار ،المصدر السابق ؛ د. شوقي عطاالله الجمل، تاريخ سودان وادي النيل ،ص[٢٥]. ,

٢٧- char chill , w.s. the River war , London 1949,P.25. ؛ جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٣]

٢٨- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٩٤] ، د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص [٢٣]

٢٩- Dujarrlc . Qaston , L'etal Makdiste du soudan, paris, 1910.P.39؛ ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص[١١٧].

٣٠ – حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص[١٠١]، ابراهيم سامي احمد ، المصدر السابق ، ص[٢١٦]، جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٦-٢٧]،

٣١-The obald , THEOBALD , A,B, The Mahdiya , London,1951,P.36؛ بشلرة كنعان ، العالم الانكلزي ، ج[١] ،مطبعه هنديه ، مصر، بلا، ت، ص[١٦٩] .

٣٢- BREHIER , Louis , L'Egypt de 1870-1900,paris , 1903,P.224 ؛ د. عبد العزير سليمان نوار ، مصر والعراق دراسه في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالميه الاولى ، الانجلو المصريه ، القاهرة ،١٩٦٨ ، ص[٢٥٧-٢٥٨]

٣٣-عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٨٧-٨٩]؛ د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص [٣٥-٣٦]

٣٤- حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص[٩٨] ؛ ابراهيم سامي احمد ، المصدر السابق ، ص[٢١٨] ؛ مكي شبيكه ، ص[٦٣٩] ؛

٣٥- Slatin , OP.cit,T.1.P.195 جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص[٢٨-٢٩] ؛ ضرار صالح ضرار،المصدر السابق ، ص[١٢٤].

نعوم شعير، جغرافية وتاريخ السودان ، ج[٣] ، بيروت ،١٩٦٧،ص[٩٦] ؛ د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ السودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص[٤١-٤٢] .

٣٦- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٩٦] ؛ د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ السودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص [٤١-٤٢]

37- GORDON, Jeurnal,Siege de khatouim, paris, 1886, P.3996 Slain p. cit.,P1950,

جلال يحيى ، المصدر السباق ،ص[٣١-٣٢]؛

٣٨ – ضرار صالح ضرار،المصدر السابق ، ص[١٢٨] ؛ جلال يحيى ، المصدر نفسه ؛ ب . هـ ، هولت ، ترجمه جميل عبيد ، دار الفكر العربي ، مطبعة دار الاستقلال الكبرى ،مصر،١٩٧٨، ص[٧٦] .

39 - GORDON, op. cit. , p.401.

عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[٩٨]

٤٠- شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص[٤١-٤٢] ؛ ضرار صالح ضرار،المصدر السابق ، ص[١٣٨] ؛ الاهرام ، ٢٤ كانون الثاني ١٨٨٤

٤١- عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[١٠١- ١٠٢] د.عطاالله الجمل ، تاريخ السودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص [٤٣-٤٤]

SABRY, M., Le Soudan Egyptin , 1821- 1898, P. 74

٤٢- د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ كشف أفريقا واستعمارها ، الانجلو المصريه ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص[٦٢٥] .

٤٣- كرومر ، بريطانيا في السودان ، تعريب عبد العزيز احمد عرابي ، القاهرة ، ١٩٤٣، ص[١٧-١٨] ؛ ضرار صالح ضرار،المصدر السابق ، ص[١٣٨-١٣٩] .

٤٤- حسن محمد درويش ، المصدر السابق ، ص[١٠١] ؛ عبد الرحمن الرافعي بك ، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[١٠٣] .

٤٥- د. شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، ج[٣] ، ص[٤٧-٤٨] ؛ ضرار صالح ضرار،المصدر السابق ، ص[١٤٠-١٤١]

٤٦- بشارة كنفان ، المصدر السابق ، ص[١٧٠]

Gordon Journals, v.o.l. p.67.

٤٧- د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، مطبعه لجنه التاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص[٣٤٤-٣٤٥] ؛ الرائد وليد محمد جرادات ، الاهميه الستراتجيه للبحر الاحمر بين الماضي والحاضر، ط[١]، دار الثقافه ، قطر ، ١٩٨٦ ، ص١٧٦ .

٤٨- عبد الرحمن الرافعي بك ، عصر اسماعيل ، ج[٢] ، ص[٢٣٩] ؛ كرومر ، المصدر السابق ، ص[٢٣-٣١] ؛ د. محمد شفبق غربال ، تاريخ المفاوضات البريطانيه ،ج[١] ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص[١] ؛ د. جلال يحيى ، سواحل البحر الاحمر ، ط[١] ، مطبعه لجنه التاليف والترجمه ، ١٩٦٠، ص[٧٦] .

٤٩- كرومر ، المصدر السابق ، ص[٦٢] ؛ د. جلال يحيى ، سواحل البحر الاحمر ، ص[٧٦] ؛ د. شوقي عطا الله الجميل ؛ ، تاريخ سودان وادي النيل، ص[٦٣] .

٥٠ – هو الكولونيل استيوارت الذي كلفته الحكومة البريطانية في كانون الثاني عام ١٨٨٢ بعد الاحتلال البريطاني لمصر بالذهاب الى السودان ودراسة أحواله وشؤونه وبقي يرسل تقاريره الى بريطانيا واهمها عجز المصرين عن حكم السودان

(د. جلال يحيى – الثورة المهدية ، ص[٥١]).

٥١- Wingat ,op .cit ,pp.111-116

ابراهيم سامي احمد ؛ المصدر السابق ؛ ص[٢١٩] ؛ بشارة كنعان ؛ المصدر السابق ؛ ص[١٧١] ؛ بـ. هـ- هولت ، المصدر السابق ؛ ص[١١٠] .

٥٢- عبد الرحمن الرافعي بك. مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال،ص[١١٩] ؛ د. جلال يحيى ، الثورة المهدية ص[١٣٦,١٣٧,١٥٢] ؛

٥٣- عبد الرحمن الرافعي بك، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، ص[١٢٠,١٢١] ؛ بـ. هـ- هولت ، المصدر السابق.، ص[١٠٠,١٠١] .ص[٢٠٨] .

٥٤- د. جلال يحيى ؛ الثورة المهدية. ص[١٧٢] ،ضرار صالح ضرار ؛ المصدر السابق، ص[١٥٨] .

٥٥- عبد الرحمن الرافعي بك. مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال. ص[١٢٦ - ١٢٧] .

٥٦- عبد الرحمن الرافعي بك. مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال، ص١٢٨-١٢٧ ؛ ابراهيم سامي احمد ؛ المصدر السابق ؛ ص٢١٩ .

57- wingat ,opcit ,p. 65 -٥٧

٥٨- عبد الرحمن الرافعي بك. مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ص١٢٨ ؛ د. علي ابراهيم عبدة ، المصدر السابق ، ص٤٥ . ،ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق، ص١٦٠ .

59- Slatin , op. cit, p.460 -٥٩

؛ د. علي ابراهيم عبدة ، المصدر السابق ، ص٤٥؛رجب حراز ، بريطانيا وشرق أفريقيا من الاستعمار الى الاستقلال ، المطبعة العالمية ، القاهرة، ١٩٧١ ، ص٧٤

60 - slatin , op. cit, p.464-471 -٦٠

؛ د. شوقي عطا الله الجميل ؛ ، تاريخ سودان وادي النيل، ص٩٠ ؛ جورج كيرك ، الالف كتاب موجز تاريخ الشرق الاوسط من ظهور الاسلام الى الوقت الحاظر ، ترجمة عمر الاسكندري ، دار الطباعة الحديثة، مصر ١٩٥٤ ، ص١٧٦ .

٦١- د. زاهر رياض ، الاستعمار الاوربي لافريقيا في العصر الحديث ، مكتب الجامعات للنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص٢٣٩ ؛ وليد محمد جرادات ، المصدر السابق و ص١٧٦ .

٦٢- ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق، ص١٦٢ ؛ بـ. هـ. هولت ، المصدر السابق، ص١٢٢ .

٦٣- ؛ د. شوقي عطا الله الجميل ؛ تاريخ سودان وادي النيل. ص٩٥-٩٦ .

٦٤- ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ص١٦٦-١٦٧ ؛ محمد ابراهيم ابو سليم ، المملكة الفكرية المهدية ١٩٨٠، ،ص٥٣ .

٦٥- ؛ د. شوقي عطا الله الجميل ؛ ، تاريخ سودان وادي النيل ،ص١١٥ ، ،ضرار صالح ضرار ، ، المصدر السابق ،ص١٦٧-١٧٠ .

٦٦- محمد ابراهيم ابو سليم، ، المصدر السابق ، ص٥٠ ؛ د. يونان لبيب رزق ، السودان في عهد الحكم الثاني الاول ، ١٨٩٩-١٩٢٤ ، القاهرة ، ص٧٢ ،

٦٧- ؛ بـ. هـ- هولت ، المصدر السابق، ص١٣٢ ، ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ص ١٧٠-١٧١ .

٦٨- ضرار صالح ضرار ، ، المصدر السابق، ص١٦٢ . ؛ بـ. هـ. هولت ، المصدر السابق، ص١٢٢ .

٦٩- سريدر بولارد ، بريطانيا والشرق الاوسط من اقدم العصور حتى ١٩٥٢،ترجمة حسن احمد السلمان ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٦ ص٧٨ ؛ بشارة كنعان ، المصدر السابق ، ص١٧١ ، ؛ بـ. هـ – هولت ، المصدر السابق، ص١٢٢ .